إسلامنا
(٢)

السيد سابق

التشريع الإسلامي

Bibliotheca Alexandrina
0129029

لفتح للإعلام العربي

إسلامنا
(٢)

السيد سابق

مصادر التشريع الإسلامي

الفتح للإعلام العربي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع

الفتح للإعلام العربى

القاهرة ــ مدينة نصر ــ الحى السابع

١ شارع الدكتور عبد الشافى محمد

ت ٦٠٤٧٣٨

تم الجمع التصويرى والإخراج الفنى

بدار الطباعة والنشر الإسلامية

ت : ٦١٨١٣٧

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فإنى أقدم فى هذا الكتاب « التشريع الإسلامى » وإن الذى قام على بنائه محمد ﷺ ، فكان ينمو ويكتمل تحت راية :

١ ــ القرآن الكريم : الذى أنزله الله دستوراً لهذه الأمة ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ .

٢ ــ السنة النبوية فإن العمل بها أخذ بكتاب الله تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

ولقد كان الرسول ﷺ يحكم إما بنص كلام الله

تعالى الذى ينزل به الوحى ، أو بما يصدر عنه من قول ، أو فعل ، أو تقرير على وجه التبليغ والبيان ، أو باجتهاده فيما لم يكن فيه نص من كتاب أو سنة .

ولقد قام بعد انتقاله إلى الملأ الأعلى الخلفاء الراشدون مقامه فاجتهدوا فى تعرف الأمور التى تعرض عليهم ، فكانوا يرجعون فيها إلى كتاب الله ـــ تعالى ـــ فإن لم يجدوا نصاً اتجهوا إلى المأثور عن الرسول ﷺ فى مثلها ، فإن لم يجدوا حكّموا الآراء وأجهدوا العقول ، حتى يصلوا للحق وبه يحكمون .

ومن هذا نتبين أن مصادر الشريعة الإسلامية تدور حول أربعة محاور : الكتاب والسنة ، والقياس الفقهى « وهو تطبيق حكم حالة منصوص عليها على حالة غير منصوص عليها » والمحور الرابع : الإجماع لقوله ﷺ « لا تجتمع أمتى على ضلالة » .

فالقرآن هو : الكتاب المنزل على سيدنا محمد ﷺ باللفظ العربى المنقول بالتواتر ، المبدوء بسورة الفاتحة ،

المختوم بسورة الناس ، وهو كلام الله المعجز الخالد على مرِّ القرون ، أودع الله فيه علم كل شيء مما يتصل بالدين : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ .

هذا وتعريف القرآن للأحكام أكثره كلى لا جزئى ، وإجمالى لا تفصيلى ، فيحتاج فى الوقوف على حقائقه إلى الرجوع للسنة المبينة الموضحة ومن هنا يتضح مكانة السنة وهى أنها تبين مجمل القرآن ، وتخصص عامة ، وتقيد مطلعه ، وقد تستقل بتشريع أحكام لم يأت بها القرآن الكريم .

ولما كان باب الفهم واسعاً فقد نشأ عنه خلاف بين المجتهدين يرجع إلى ما يتجه كل منهم لناحية من الفهم ، لاحتمال الألفاظ لأكثر من معنى واحد ، كما يرجع إلى الاختلاف فى رواية حديث ، منهم من يرى إن الشواهد كثيرة على صحته ، ومنهم من يرى العكس ، وبسبب ذلك اتسعت دائرة البحث العلمى والفقهى ، وانطلق المسلمون فى كل ناحية لنشر دعوة الإسلام

وتقنين الشريعة الإسلامية ، ووضع علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول .... فسمت الحضارة الإسلامية ، واتسع نطاقها .

وبهذا يتأكد لك كيف أبلى النبى ﷺ وأصحابه من بعده فى تدعيم قواعد هذا الدين ، وكيف وقف الأولون من سلف المسلمين جهودهم على خدمة هذه الشريعة فى البحث عن أحكامها وأسرارها والذود عن حياضها ، وبذل النفس والنفيس فى سبيلها ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ .

والآن بعد أن عرفت سمو شريعة الإسلام على كل الشرائع قديمها وحديثها ألا يحق لنا أن نهيب بأمتنا المسلمة ؛ وندعوها إلى تطبيق شريعة العدل شريعة الله ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ اللهم استجب .

والله ولى التوفيق

المصدر الأول : القرآن الكريم

١ ــ تعريفه :

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته[1] والمكتوب فى المصحف الشريف .

ومن أسمائه : الفرقان ، والكتاب ، والذكر ، والتنزيل .

٢ ــ الدليل على أن القرآن كلام الله :

والقرآن كلام الله ودليل ذلك ما يأتى :

---

(١) أى أنه يقرأ فى الصلاة وغيرها تقرباً إلى الله .

(أ) اشتماله على البلاغة التى يعجز البشر عن الإتيان بمثلها .

(ب) أنه انتظم المعارف الإلٰهية ، والفضائل الخلقية ، والأحكام التشريعية ، والمبادىء الإنسانية ، مما يدل دلالة قاطعة على أنه من عند الله .

(جـ) جاءت آيات منه تتحدث عن أسرار من الكون لم تكن معروفة على عهد التنزيل ، مما يقطع بأنه من الله .

(د) إخباره بأنباء السابقين وبعض أنباء اللاحقين .

٣ ــ الفرق بين القرآن والحديث القدسى :

والحديث القدسى هو الحديث الذى يضيفه الرسول ﷺ إلى ربه مثل قوله فيما يرويه عن

ربه :

« ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » .

والظاهر أن ألفاظ الحديث القدسى من الرسول ﷺ ومعناه من الله تعالى ، وليس للرسول ﷺ إلا تبليغه عن ربه بلفظ من عنده والحديث القدسى لم يبلغ حد التواتر مثل القرآن الكريم ، وليس معجزاً ، ولا مما يتعبد بتلاوته .

٤ ــ كيفية نزول القرآن :

نزل القرآن فى ليلة مباركة ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنا مُنْذِرِين ﴾[١] .

---

(١) سورة الدخان الآية : ٣ .

وهذه الليلة هى ليلة القدر . يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[٢] .

وهى إحدى ليالى شهر رمضان . يقول الله تعالى :

﴿ شَهْر رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآن هُدَى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِن الْهُدَى وَالْفُرقَان ﴾[٣] .

وللعلماء فى كيفية نزوله رأيان :

الرأى الأول :

رأى ابن عباس وجمهور العلماء أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل بعد ذلك منجماً على

---

(٢) سورة القدر الآية : ١ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٨٥ .

الرسول ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع والأحداث .

وحكمة ذلك ماذكره العلماء من تفخيم أمره وأمر من نزل عليه ، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم .

الرأى الثانى :

أن المراد من نزول القرآن فى الآيات الثلاث ابتداء نزوله ، ثم تتابع نزوله بعد ذلك :

وهذا ماجاء فى القرآن الكريم :

﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا ﴾[1] .

---

(١) سورة الإسراء الآية : ١٠٦ .

يقول الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِلَ عَلَيْهِ القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَلْنَاهُ تَرْتِيلا ﴾[٢] .

جمع القرآن :

جمع القرآن يراد به أحد معنيين : الحفظ ، أو الكتابة .

الجمع بمعنى الحفظ :

وفيه يقول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه ﴾[١] .

وكان أول الحفاظ : الرسول ﷺ ، وحفظه عنه أصحابه ، وكانت العرب قوية الذاكرة ،

---

(٢) سورة الفرقان الآية : ٣٢ .

(١) سورة القيامة الآية : ١٧ .

تستعيض عن الكتابة بقوة حفظها .

ومن الحفاظ الذين جمعوا القرآن وحفظوه سبعة على حسب رواية البخارى : عبدالله بن مسعود ، وسالم مولى حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأُبىّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد بن السكن ، وأبو الدرداء .

وتحمل هذه الرواية على أن هؤلاء هم الذين حفظوه كله ، وعرضوه على النبى ﷺ ، واتصلت أسانيدهم بمن بعدهم إلى يومنا هذا وإلا فقد حفظه الكثير فقد قتل من القراء فى بئر معونة نحو سبعين ، وقتل مثلهم يوم اليمامة .

ومن المعلوم أن حفظته من المهاجرين غير هؤلاء هم : الخلفاء الأربعة ، وطلحة ، وسعد ، وحذيفة ، وأبو هريرة ، وعبدالله بن السائب .

والعبادلة : ابن عباس ، وابن عمرو ، وابن الزبير . وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة .

ومن الأنصار : عبادة بن الصامت ، ومعاذ الذى يكنى : أبا حليمة ، ومجمع بن جارية ، وفضالة بن عبيد ، ومسلمة بن مخلد .

والحفظ للقرآن خاصة من خواص هذه الأمة ، يقول ابن الجزرى : « إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب أشرف خصيصة من الله لهذه الأمة » .

الجمع بمعنى الكتابة :

اتخذ رسول الله ﷺ كتابا للوحى من خيرة أصحابه منهم : على ، وزيد بن ثابت ، وأُبىّ بن كعب ، ومعاوية ، فكان كلما نزلت آية دعاهم

وأمرهم بكتابتها ، وأرشدهم إلى موضعها من السورة التى يريد أن يلحقها بها .

وكان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن من تلقاء أنفسهم ، وكان الغرض من الكتابة توثيق الحفظ وتقوية ما علق بالذاكرة .

وكانوا يكتبون فى جريد النخل (العسب) وصفائح الحجارة (اللخاف) والرقاع والأقتاب (الخشب الذى يوضع على ظهر البعير) ، والأكتاف (عظم البعير أو الشاه) .

وكان جبريل يعارض الرسول ﷺ بالقرآن كل سنة من رمضان .

قال ابن عباس : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه

القرآن ، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » .

ولم تكن الكتابة فى عهد رسول الله ﷺ مجتمعة فى مصحف ، والمروى عن بعض الصحابة أنهم جمعوه كله على عهد رسول الله منهم : على ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وعبدالله بن مسعود وأُبىّ بن كعب .

وقد لحق رسول الله بالرفيق الأعلى والقرآن مكتوب فى السطور ، ومحفوظ فى الصدور ، ولم يجمع فى مصحف عام . قال الزركشى : « وإنما لم يكتب فى عهد الرسول فى مصحف لئلا يفضى إلى تغييره فى كل وقت ، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته ﷺ ، وبهذا يفسر ماروى عن زيد بن ثابت قال :

« قبض النبى ﷺ ولم يكن القرآن جمع فى شىء » أى لم يكن جمع مرتب الآيات والسور فى مصحف واحد . وقال الخطابى :

إنما لم يجمع ﷺ القرآن فى المصحف لما يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه ، أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة ، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر رضى الله عنهما .

جمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق :

روى البخارى عن زيد بن ثابت قال :

« أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتانى

فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أريد أن تأمر بجمع القرآن . فقلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هو والله خير . فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ . فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ماكان أثقل مما أمرنى به من جمع القرآن .

فقلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله

صدر أبى بكر وعمر . فتتبعت القرآن أجمعه من العسب ، واللخاف ، وصدور الرجال . ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى ، لم أجدها مع غيره[1] :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَحِيم فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ اللهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ العَظِيم ﴾[1] .

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله . ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر » .

وكان هذا الجمع أول جمع للقرآن فى مصحف واحد ، مع اشتماله على الأحرف السبعة التى نزل

---

(١) أى أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ، وكان زيد وغيره من الصحابة يحفظونها ، والآيتا هما ١٢٨ ، ١٢٩ .

بها القرآن ، ومنذ ذلك الحين سمى القرآن بالمصحف .

قال على كرم الله وجهه : « أعظم الناس أجراً فى المصاحف : أبو بكر . رحمة الله عَلَى أبى بكر هو أول من جمع كتاب الله » .

ويظهر من هذا أن الباعث على الجمع هو جمع القرآن خشية من ذهابه بذهاب حملته حين اشتد القتل بالقراء ، وأنه كان نقلا لما كان فى الرقاع والأكتاف والعسب وجمعاً له فى مصحف واحد مرتب الآيات والسور ، مقتصراً على مالم تنسخ تلاوته ، مشتملا على الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن .

جمع القرآن فى عهد عثمان :

روى البخارى عن أنس : أن حذيفة بن اليمان

قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال لعثمان : أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل إلى حفصة أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف .

وقال عثمان لرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ففعلوا .

حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق

بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . قال زيد : آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرِ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا ﴾[1] .

فألحقناها فى سورتها من المصحف .

وكما أن حذيفة رأى الاختلاف فى القراءة فى أثناء الغزو ، فقد لاحظ ذلك أيضاً غيره من الصحابة ، فحدثوا عثمان بذلك ، فقام خطيبا فى الناس فكان من قوله :

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٢٣ .

« أنتم عندى تختلفون وتلحنون ، فمن نأى عنى من أهل الأنصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً . اجتمعوا ياأصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما » .

وقال على : « لا تقولوا فى عثمان إلا خيراً ، فوالله مافعل الذى فعل فى المصحف إلا عن ملأمِنَّا » .

قال : ماتقولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول : إن قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفراً ، قلنا : فما ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا اختلاف . قلنا : فنعم ما رأيت .

القرآن بين جمع أبى بكر وجمع عثمان :

قال العلماء :

الفرق بين الجمعين أن جمع أبى بكر كان خشية

أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حَمَلته ، لأنه لم يكن مجموعاً فى موضع واحد ، فجمعه فى صحائف مرتَّباً لآيات سورة على ما وقفهم عليه النبى ﷺ .

أما جمع عثمان فكان حين كثر الاختلاف فى وجوه القراءة حتى قرءوه بلغاتهم على اختلاف اللغات ، فأدى ذلك إلى تخطئة بعضهم بعضاً ، فخشى من تفاقم الأمر فى ذلك فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتباً لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغاتهم ، وإن كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم ، رفقاً للمشقة والحرج فى ابتداء الأمر ، فرأى أن الحاجة لذلك قد انتهت ، فاقتصر على لغة واحدة .

والمشهور أن عدد المصاحف التى نسخها وأرسلها إلى الأمصار : خمسة ، وكان ذلك سنة ٢٥ هجرية .

أما الصحف التى ردت إلى حفصة فقد ظلت عندها حتى ماتت ، ثم غسلت غسلا . وقيل : أخذها مروان بن عبد الحكم وأحرقها .

إنزال القرآن على سبعة أحرف :

جاءت الأحاديث الكثيرة تفيد أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف .

وقد رويت عن واحد وعشرين من أصحاب الرسول ﷺ ، حتى إن أبا عبيدة القاسم بن سلام قال : إن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف متواتر .

١ ـــ من هذه الأحاديث مارواه البخارى عن

ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » .

٢ ـــ وعن بشر بن سعيد ، أن أبا جُهَيم الأنصاري أخبره أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، فقال : هكذا تلقيتها من رسول الله ﷺ ، وقال الآخر : هكذا تلقيتها من رسول الله ﷺ ، فسألا رسول الله ﷺ عنها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن القرآن نزل على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر » (رواه أحمد والطبري والبيهقى في مجمع الزوائد وقال رجاله رجال الصحيح) .

٣ ـــ وروى البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، والترمذى وأحمد ، أن عمر بن الخطاب

رضى الله عنه قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﷺ ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة ، لم يقرأ فيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره فى الصلاة ، فانتظرته حتى سلم ، ثم لَبَبْتُه بردائه ، فقلت له : من أقرأك هذه السورة ؟ قال : اقرأنيها رسول الله ﷺ . قلت له : كذبت ، فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأنى هذه السورة التى سمعتك تقرؤها ، فانطلقت أقوده إلى رسول الله ، فقلت : يارسول الله إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها ، وأنا أقرأتنى سورة الفرقان .

فقال رسول الله ﷺ : « أرسله ياعمر ، اقرأ ياهشام » فقرأ هذه القراءة التى سمعته يقرؤها . فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أنزلت » ثم قال

رسول الله ﷺ : « اقرأ ياعمر » فقرأت القراءة التى أقرأني رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله : « هكذا أنزلت » ثم قال رسول الله : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » .

٤ ــ وأخرج أحمد والطبراني عن أبي بكرة ، أن جبريل قال : « يامحمد اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال على حرفين حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف . فقال : كلها شاف كاف مالم يختم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب » كقولك : هلم وتعال وأقبل واذهب ، وأسرع وعجل .

ماهو المقصود بالحروف السبعة :

اختلف العلماء في هذا على خمسة وثلاثين

قولاً ، والرأى الراجح الذى ذهب إليه أكثر العلماء ، منهم ابن جرير وسفيان بن عيينة : أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد ، نحو أقبل وتعال كما تقدم في حديث أبي بكرة .

واللغات السبع هى لغات قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن .

وقال أبو حاتم السجستاني : نزل بلغة قريش ، وهزيل ، وتميم ، والأزد وربيعة ، وهوازن ، وسعد ابن بكر .

حكمة ذلك :

والحكمة في ذلك تيسير القراءة والحفظ على العرب ، فعن أبيّ قال : لقي رسول الله ﷺ

جبريل عند أحجار المرائر[1] فقال : إني بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ العاس (الكبير الضعيف) والعجوز ، فقال جبريل : فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف » . (رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى والطبرى بأسناد صحيح) .

الوحى القرآنى وصوره وسماته :

وهذا الوحى له صور متعددة :

من هذه الصور ماذكره الله فى سورة الشورى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْياً أو من وراء حجاب أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء ﴾[1] .

---

(١) موضع قريب بقباء .

(١) سورة الشورى الآية : ٥١ .

فالآية تُقَرِّر ثلاثة أنواع من الوحى :

١ ــ « وحياً » أى إلقاء المعنى فى القلب المعبر عنه بالنفث فى الروع ، وفى الحديث يقول الرسول ﷺ : « إن روح القدس نفث فى روعى أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

٢ ــ الكلام من وراء حجاب ، وهو أن يسمع الموحَى إليه كلام الله من حيث لا يراه ، كما سمع الرسول عليه الصلاة والسلام كلام الله ليلة الإسراء والمعراج حين فرض عليه الصلاة .

٣ ــ مايلقيه الملك المرسل من الله إلى الرسول ، فيراه متمثلا بصورة رجل أو غير متمثل .

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن

الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ .

فقال : « أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس ؛ وهو أشده علىّ فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال .
وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول » .

قال عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

والوحى الذى نزل على رسولنا الكريم ﷺ يتمثل فى أمرين : الكتاب والسنة .

يقول الرسول ﷺ : « مامن الأنبياء نبى إلا أعطى مامثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى

أوتيته وحياً أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « أوتيت القرآن ومثله معه » .

وجملة الوحى القرآنى ٦٢٣٦ آية .

منها ٧٦٣ آية تبحث فى المعرفة .

ومنها ٧٤١ آية تبحث فى الهداية إلى الفضيلة .

ومنها ١٤٠ آية تبحث فى العبادات .

ومنها ٧٠ آية تبحث فى المعاملات .

ومنها ٧٠ آية فى أحوال الأسرة والميراث .

ومنها ٣٠ آية فى الجنايات .

ومنها ١٣ آية فى المرافعات .

ومنها ٢٠ آية فى القصاص والشهادة .

ومنها ١٠ آيات تبحث فى الاقتصاديات .

ومنها ١٠ آيات تبحث فى القانون الدستورى .

ومنها ٢٥ آية تبحث فى القانون الدولى .

ويلاحظ بجانب ذلك أن فى القرآن الكريم آيات كثيرة جاءت تتحدث عن عالم الطبيعة ؛ لأنه مظهر من مظاهر عظمة الخالق .

ومما يلفت النظر أن الاكتشافات التى اكتشفها العلم الحديث جاءت مطابقة لما سبقت به الآيات ، ومن الأمثلة التى ذكرها العلماء كروية الأرض ، وتكوين المطر ، والتلقيح بالرياح ، والأصل المائى لجميع الأحياء ، والزوجية فى النبات وغيره من المخلوقات والحياة الإجتماعية لدى الحيوانات ، وأسلوب الحياة لدى النحل ، وتطور الجنين فى رحم الأم ، وغير ذلك مما تناوله بعض العلماء بالتفصيل .

وأما السنة فمجموع ماجاء منها فى الصحيحين يربو على ٤٥٠٠ حديث مع ملاحظة أن مجموع الأحاديث التى رواها الإمام أحمد فى مسنده تبلغ ٤٠٠٠٠ حديث تقريباً .

والسنة تبين مجمل القرآن ، وتخصص عامه ، وتقيد مطلقه وتستقل بتشريع أحكام لم يأت بها القرآن الكريم .

والكتاب والسنة ينتظمان كما يبدو لأول وهلة كل نواحى الحياة ، ففيهما العقائد ، والعبادات ، والفضائل ، والنظم الاجتماعية والاقتصادية ، والتربوية ، وفيهما نظام الحكم والسياسة .

ونصوص الكتاب والسنة جاءت مفصلة وموضحة كل المسائل التى لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فليس لأحد أن يزيد عليها أو

ينقص منها كالعقائد والعبادات ، وحل البيع وحرمة الربا ، وجواز الرهن والشفعة ، والعقوبات المقدرة والكفارات المقررة ، وأنصبة الورثة ومقادير الزكاة ، وكالزواج والطلاق ، والنفقة والحضانة والعدة .

وأما مايختلف باختلاف الزمان والمكان كالمصالح المدنية ، والأمور السياسية والحربية فقد جاءت نصوصها مجملة لتتفق مع مصالح الناس فى جميع العصور ، وليهتدى بها أولو الأمر فى إقامة الحق والعدل .

والكتاب والسنة لا يخاطبان جنساً دون جنس ، ولا شعباً دون شعب ، وإنما يخاطبان الناس جميعا فى كل زمان ومكان .

﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً

الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إله إلاَّ هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِى الأُمِى الَّذِى يُؤْمِن بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتبعُوه لَعَلكُمْ تَهْتَدُون ﴾[1] .

وتعاليم الكتاب والسنة هى المنقذ من الضلال ، والعاصم من الزلل ، والهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

إن هذه التعاليم قد استطاعت فى الماضى أن تغير مجرى التاريخ وأن توجه مسيرة الحياة نحو الحق والخير والجمال .

لقد قضت على الوثنية وأحلت محلها التوحيد .

وقضت على رذائل الجاهلية ، وجاءت بالقيم

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .

والمثل والفضائل .

ووحدت الأمة بعد شتاتها ، وأقامت دولة الله فى الأرض .

ولا تزال تعاليم الكتاب والسنة منارة هادية تستطيع أن تقدم للناس ماعجزت الحضارة الحديثة عنه .

التفسير والتأويل

تعريف التفسير والتأويل :

فَسَرَ من باب نصر وضرب : أبان وأظهر .

وتأتى كلمة فسّر مبالغة مثل ذَبَح وذَبَّح .

وجاء فى التنزيل : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرا ﴾[1] أى بياناً .

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٣٣ .

وفى الاصطلاح : علم يفهم به معانى كلام الله ، ويستخرج به أحكامه وحكمه .

والتأويــــل :

يأتى بمعنى التفسير كما فى قوله سبحانه :

﴿ وَمَا يَعْلَم تَأْوِيلَهُ إلا الله ﴾[2] أى تفسيره .

والرسول ﷺ دعا لابن عباس رضى الله عنهما فقال : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » .

ويأتى بمعنى مايؤول إليه الأمر كما فى قوله سبحانه : ﴿ بَلْ كَذبُوا بِعِلْمِهِ وَلَما يَأْتِهِمْ تَأْوِيله ﴾[3] . أى عاقبة مافيه من الوعيد .

ويقول سبحانه : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيله[4]

(٢) سورة آل عمران الآية : ٧ .

(٣) سورة يونس الآية : ٣٩ .

(٤) تأويله : أى مجىء ما أخبر به .

يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾[1] ، أي هل ينظرون إلا عاقبة مافيه يوم يأتى تأويله : أى يوم القيامة .

ويأتى بمعنى فعل الأمر ، ففى الحديث عن عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى بتأول القرآن » .

منزلة التفسير :-

يعتبر تفسير كتاب الله أسمى العلوم وأشرفها من

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٥٣ .

حيث الموضوع والغرض والحاجة إليه .

فموضوعه كلام الله ، وليس بعد كلامه كلام لما ينطوى عليه من هداية وإرشاد ، يقول الله سبحانه : ﴿ إِن هَذَا القُرْآن يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَم ﴾[2] .

والغرض منه فهمه والعمل به ليحقق الإنسان الكمال فى الدنيا ، وليستعد ليكون فى جوارذي الجلال في الآخرة .

والحاجة إليه ملحة لأنه يرسم المنهج الذي يصل إليه بالإنسان إلى رضا الله ، وهو غاية الغايات ومنتهى الأمانى والآمال .

---

(٢) سورة الإسراء الآية : ٩ .

شروط المفسر :

ويشترط فى المفسر الشروط الآتية :

١ ــ صحة العقيدة .

٢ ــ التجرد من الهوى .

٣ ــ أن يفسر القرآن بالقرآن متى أمكن ذلك .

٤ ــ أن يفسر بالسُّنَّة : مثل تفسيره ﷺ فى تفسير قوله تعالى : ﴿ مَن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا ﴾[1] : بالزاد والراحلة . ومثل تفسيره ﷺ : الظلم بالشرك فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظلم ﴾[2] .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٩٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٨٢ .

٥ ـــ أن يرجع فى التفسير حيث لا يكون كتاب ولا سنة إلى أقوال الصحابة ، حيث توافر لهم مالم يتوافر لغيرهم .

٦ ـــ كثير من العلماء يرجع إلى التابعين فى تفسير القرآن الكريم .

٧ ـــ العلم باللغة وفروعها من النحو والصرف وعلوم البلاغة الثلاثة[٣] .

٨ ـــ العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن : كعلم القراءات وعلم التوحيد ، وعلم الأصول ، ومعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ .

آداب المفسر :

ينبغى للمفسر أن يكون متصفاً بالصفات

---

(٣) البلاغة والبيان والبديع .

الآتية :

١ ـــ الإخلاص وصدق النية .

٢ ـــ حسن الخلق والتواضع ، ولين الجانب ودماثة الخلق .

٣ ـــ العمل بالعلم .

٤ ـــ الأمانة في النقل .

٥ ـــ الشجاعة في الجهر بالحق بعد الإعداد الكامل .

٦ ـــ حسن السمت .

٧ ـــ حسن الأداء .

التفسير بالمأثور :

يقول الله سبحانه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِكْرَ

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤] .

والبيان يقتضى أن يبين لهم الرسول ﷺ ما خفى عليهم من ألفاظ القرآن ومعانيه .

وقد امتثل الرسول ﷺ فبين للأمة ما هو فى حاجة إلى بيان .

يقول أبو عبد الرحمن السلمى : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ، كعثمان بن عفان ، وعبدالله بن مسعود وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا مافيها من العلم والعمل . قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً .

وإذا كان الرسول ﷺ بين وفسر لأصحابه ،

---

(٤) سورة النحل الآية : ٤٤ .

فقد بين الصحابة للتابعين . يقول مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أستوقفه عند كل آية وأسأله عنها ، وقد بين التابعون كما أخذوه عن الصحابة .

فصار هذا البيان المنقول نقلاً صحيحاً عن الرسول ﷺ ، أو عن الصحابة ، أو عن كبار التابعين يسمى بالتفسير المأثور .

مميزاتـــه :

التفسير بالمأثور يتميز بثلاث ميزات :

الأولى : قلة الخلاف فيه ، لأن الاختلاف بينهم عامة كان قليلا ، وما جاء فيه من خلاف فهو راجع إلى تفسير العام ببعض أفراده على سبيل التمثيل كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ

مُقْتَصِد وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الْكَبِير ﴾[1] .

فسّر بعضهم (الظالم لنفسه) : هو الذى يؤخر الصلاة إلى وقت الكراهة ، ويقول الآخر : هو المانع للزكاة .

وقد يكون الاختلاف لاحتمال اللفظ لمعنيين مثل : القرء في قوله سبحانه وتعالى : (ثلاثة قروء)[1] .

وقد يكون الاختلاف ، لأن الألفاظ التى عبر بها عن المعاني متقاربة كما في قوله : ﴿ أَنْ تبْسل نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[2] .

(١) سورة فاطر الآية : ٣٩ .
(١) سورة البقرة الآية : ٢٢٨ .
(٢) سورة الأنعام الآية : ٧٠ .

فسرها بعضهم بالحبس ، والآخر بالرهن .

الثانية : خلوه من الإسرائيليات لأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب كان قليلاً .

الثالثة : أنه هو التفسير الصحيح البعيد عن الزيغ والزلل .

حكمـــــه :

التفسير بالمأثور هو التفسير الذى يجب الرجوع إليه ، والتعويل عليه ، لأنه تميز بمزايا لم يتميز بها غيره . يقول ابن عباس : التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله .

فالأول : هو الذى يرجع فيه إلى اللغة .

والثاني : هو المحكم مما لا لبس فيه من دلائل التوحيد وشرائع الأحكام مثل : ﴿ قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَد ﴾[3] . ﴿ قُلْ لَا أَجِد فِيمَا أُوْحى إِلَيَّ محرماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعِمُهُ إِلاَّ أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ، فإنه رجس أو فسقاً أُهلَّ لغير الله به ﴾[4] .

الثالث : هو الذي يرجع إلى اجتهاد العلماء ، والمعتمد على الأدلة من بيان مجمل أو تقييد مطلق أو تخصيص عام .

الرابع : هو عالم الغيب مثل يوم القيامة وحقيقة الروح والعرش .

---

(٣) سورة الإخلاص الآية الأولى .

(٤) سورة الأنعام الآية : ١٤٥ .

المحكم والمتشابه

للعلماء في تعيين المحكم والمشابه أقوال كثيرة منها :

١ ــ المحكم : ماعرف المراد منه إما بالظهور أو التأويل . والمتشابه : مااستأثر الله بعلمه ، كقيام الساعة وخروج الدجال .

٢ ــ المحكم ماوضح معناه ، والمتشابه نقيضه .

٣ ــ المحكم : مالا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه : مااحتمل أوجهاً .

٤ ــ المحكم ماكان معقول المعنى ، والمتشابه بخلافه كأعداد الصلوات ، واختصاص الصيام بشهر رمضان .

الحروف المقطعة في القرآن

اختلف العلماء فيها :

فذهب قوم إلى أن الله تعالى لم يجعل لأحد

سبيلاً إلى إدراك معانيها ، وإنما هى مما استأثر الله بعلمها . فنحن نؤمن بظاهرها ، ونَكِل علمها إلى الله سبحانه وتعالى . قال داود بن أبي هند : كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور ، فقال : ياداود ، إن لكل كتاب سراً ، وإن سر القرآن فواتح السور ، فدعها وسل عما سوى ذلك[1] .

وروى عن ابن عباس : أن لكل منها تفسيراً ، وأن تفسير قوله تعالى :

الٓمٓ : أنا الله أعلم .

وقيل : هى اسم من أسماء القرآن .

وقيل : هى مما يفتتح به القرآن .

وقيل : هى قسم .

✡ ✡ ✡

---

(١) الواحدى فى كتابه الوسيط .

المصدر الثانى

السنة ومكانتها من التشريع

تعريف السنة :

السنة في اللغة : الطريقة .

وفي الاصطلاح : ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير . فالقول : مثل قوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى » (رواه البخارى وغيره) .

والفعل : كالذى وقع منه ﷺ من تعليمه أصحابه الوضوء والصلاة وأعمال الحج وغير ذلك .

والتقرير : هو أن يقع من أصحابه قول أو فعل أمامه أو يبلغه عنهم فيسكت مع القدرة على الإنكار أو يظهر عليه علامات الرضا والقبول .

تعريف الحديث[1] والخبر والأثر :

الحديث في اللغة : هو الكلام الذي يتحدث الناس به ، وينقل بواسطة الصورة أو الكتابة .

وفي الاصطلاح : يراد به مايراد بالسنة . قال أبو البقاء : الحديث اسم من التحديث وهو الإخبار ، ثم سمى به قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبى ﷺ . ويقول ابن تيمية : الحديث النبوي هو عند الإطلاق ينصرف إلى ماحدث به بعد النبوة من قول أو فعله أو إقراره .

---

(١) يجمع على أحاديث على خلاف القياس .

وقيل : إن الخبر والأثر مرادفان للحديث ، وقيل : إن الأثر ماجاء عن الصحابي فقط .

السنة مصدر من مصادر التشريع :

أجمع الصحابة أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم ، وقد أمر الله سبحانه بالأخذ بما أتى به الرسول ، والانتهاء عما نهى عنه فقال : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[1] .

ويجعله الأسوة الحسنة فيقول : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُول الله أُسْوَةٌ حَسَنَة لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً ﴾[2] .

---

(١) سورة الحشر الآية : ٧ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

ويحذر من مخالفته فيقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمراً أَنْ يَكُونَ لَهُم الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبيناً ﴾[٣] .

يقول الله سبحانه :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٤] .

ويقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٥] .

ويقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٣٦ .

(٤) سورة النساء الآية : ٦٥ .

(٥) سورة النور الآية : ٦٣ .

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ[1] إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا ﴾[2] .

ويقول : ﴿ مَنْ يطعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾[3] .

وكما جاءت الآيات الكريمة توجب اتباع الرسول ﷺ ، فقد جاءت الأحاديث الكثيرة تؤكد هذا المعنى . يقول الرسول ﷺ « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً ، كتاب الله وسنتى » .

(١) الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول هو الرجوع إليه فى أثناء حياته وإلى سنته بعد وفاته .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٩ .

(٣) سورة النساء الآية : ٨٠ .

وعن أبي نجيح العرباض بن سارية السلمى رضى رضى الله عنه أنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمرّ عليكم عبد . وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » (رواه أحمد وأبو داود والترمذى) .

وعن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم

بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد إلاَّ أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعاقبهم بمثل قراه » (رواه أبو داود) .

منزلة السنة من القرآن الكريم :

القرآن الكريم يأتى أولا ثم تأتى السنة تالية له .

فعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن قاضياً :

بم تقضــى ؟ .

قال : أقضى بكتاب الله .

قال : فإن لم تجد ؟

قال : أقضى بسنة رسول الله .

قال : فإن لم تجد ؟ .

قال : أجتهد رأيي لا آلو .

فأقره النبي ﷺ وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله .

ولما ولى عمر شُريكاً قضاء الكوفة قال له :

« انظر ماتبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً ، وما لم يتبين لك فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ ، وما لم يتبين لك من السنة فاجتهد فيه رأيك واستشر أهل العلم والصلاح » .

وإنما يقدم الكتاب على السنة للأسباب الآتية :

١ ــ الكتاب منقول إلينا نقلا متواتراً ، والسنة ليست كذلك .

٢ ــ هو مقطوع به جملة وتفصيلا ، والسنة مقطوع بها جملة لا تفصيلا .

٣ ــ والكتاب متعبد بتلاوته ، بخلاف السنة فلفظها غير متعبد به .

٤ ــ والسنة بيان للكتاب والبيان متأخر بداهة عن المبيَّن .

حاجة القرآن الكريم إلى السنة :

السنة هى التى تظهر المراد من القرآن الكريم ، وتزيل ماقد يقع فى فهمه من خلاف أو اشتباه .

كان عمر رضى الله عنه يقول : « سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل » .

وقيل لمطرف بن عبدالله : لا تحدثونا إلا بالقرآن . فقال : « والله لا نريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا » .

وقال الإمام على رضى الله عنه لابن عباس حينما بعثه إلى الخوارج : « لا تخاصمهم بالقرآن فإنه حمال أوجه ولكن حاججهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً » .

وفي حجاجه رضى الله عنه مع الخوارج حين استدلوا بظاهر النصوص على كفر من ارتكب الكبيرة بقوله تعالى :

﴿ وللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾[1] .
قال : وقد علمتم أن رسول الله ﷺ رجم الزانى المحصن ثم صلى عليه ثم ورثه أهله وقتل القاتل وورث ميراثه أهله وقطع[2] وجلد الزاني غير

(١) سورة آل عمران الآية : ٩٧ .
(٢) أى قطع يد السارق .

المحصن ثم قسم عليهما من الفيء. ونكحا المسلمات فآخذهم رسول الله ﷺ بذنوبهم وأقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من بين أهله .

وظيفة الرسول :

وظيفة الرسول ﷺ التبليغ والبيان والتنفيذ . يقول الله سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ واللهُ يَعْصِمَكَ مِنْ النَّاسِ ﴾(١) .

ويقول : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِكْرَ لِتبين لِلْنَاس مَانُزِل إِلَيْهِمْ ﴾(٢) .

ويقول : ﴿ اتبعْ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنْ

---

(١) سورة المائدة الآية : ٦٧ .

(٢) سورة النحل الآية : ٤٤ .

رَبكَ ﴾[3] .

ويقول : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْت وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾[4] .

أنواع البيان :

والبيان أنواع .

١ ــ تفصيل المجمل[5] :

فقد جاء في الكتاب الكريم الأمر بالصلاة من غير بيان لأركانها وشروطها وآدابها وعدد ركعاتها ، فبينت سنة رسول الله ﷺ العملية ذلك كله وقال : « صلوا كما رأيتموني أصلي » وجاء في الكتاب الكريم الأمر بالزكاة من غير بيان للأصناف

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٠٦ .

(٤) سورة هود الآية : ١١٢ .

(٥) المجمل هو اللفظ الذى لم تتضح دلالته .

التى تجب فيها ، ولا للقدر الواجب ولا للوقت التى تؤدي فيه فجاءت السنة مبينة ذلك كله . وكذلك الحج ، فقد أوجبه الله دون بيان المناسك فبينها الرسول ﷺ عمليا وقال : « خذوا عني مناسككم » .

٢ ـ تخصيص العام[١] :

مثال ذلك : أمر الله سبحانه بأن يرث الأبناء الآباء فى قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾[٢] فكان هذا الأمر عاماً بالنسبة لكل أب موروث وبكل ولد وارث . فجاءت السنة مخصصة الموروث بغير الأنبياء . يقول الرسول ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء لا

---

(١) العام هو اللفظ المستغرق جميع ما يصلح له بلفظ واحد .

(٢) سورة النساء الآية : ٩ .

نورث ماتركناه صدقة » .

وجاءت أيضاً مخصصة الوارث بغير القاتل . يقول الرسول ﷺ : « لا يرث القاتل » .

٣ ــ تقييد المطلق[٣] :

يقول الله سبحانه : ﴿ وَالسَّارِق وَالسَّارِقَة فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نكَالاً مِن الله وَالله عَزِيزٌ حَكِيم ﴾[٤] .

فالأمر في الآية بالقطع مطلق لم يقيد بموضع خاص فقيدته السنة بأن يكون من الرسغ .

ويقول : ﴿ وَلِيَطوفُوا بالْبَيْتِ الْعَتِيق ﴾[٥] فهذا أمر مطلق بالطواف ولكن السنة قيدته بوجوب

(٣) المطلق هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه .

(٤) سورة المائدة الآية : ٣٨ .

(٥) سورة الحج الآية : ٢٩ .

الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر .

نسبة السنة إلى القرآن :

السنة تبين المجمل وتخصص العام وتقيد المطلق من الكتاب الكريم ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وهي أيضاً تؤكد مافيه من أحكام وتنشيء أحكاماً سكت عنها .

ومثال تأكيد مافيه ماجاء عن الرسول ﷺ أنه أمر بصيام رمضان وإتمام الحج ، وهذا موافق لقول الله سبحانه : ﴿ يَاأَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتبَ عَلَيْكُم الصِيَامُ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَأتِموا الْحجَ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٣ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٩٦ .

وأما الأحكام التى أنشاها وسكت عنها القرآن الكريم فمنها : إيجاب زكاة الفطر وزكاة المواشى . ومنها النهى عن الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ، ومنها النهي عن لبس الحرير ، والنهي عن أكل كل ذي ناب من السباع ، والنهي عن ربا الفضل . ومنها قوله ﷺ : « يحْرِمْ مِنْ الرِّضَاع مَا يَحْرِمْ مِنْ النَسبْ » .

ماهو حجة من أقوال الرسول وأفعاله :

ماكان من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله التى يقصد بها بيان الأحكام وتشريع الحلال والحرام فهو حجة وتشريع للأمة .

أما ماصدر عنه ﷺ بحكم الجبلة مثل : القيام والقعود والنوم ونحو ذلك ، أو لكونه خاصا به

مثل : التزوج بأكثر من أربع فهو ليس بحجة .

وكذلك ماكان من أمور الدنيا المحضة .

والأصل فى هذا مارواه مسلم فى قضية تأبير النخل قال ﷺ :

« أظنهم لو تركوه أثمر . فتركوه ؛ فشيَّص[1] فقيل له : قال :

إنما أنا بشر ؛ فإن كان شيء من دينكم فأنا كفيل به ، وإن كان شيء من دنياكم فإنما أنا بشر ؛ وأنتم أعلم بدنياكم » .

* * *

---

(١) شيص : أى صار رديئاً لا حلاوة له .

علم الحديث وأقسامه

اهتم علماء الحديث بالرواية والنقل عن رسول الله ﷺ ، فرووا عنه أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية ، وضبطوا ذلك كله وحرروه .

كما أنهم عنوا بالسند[1] والمتن[2] من حيث القبول والرد وما يتبع ذلك من كيفية الرواية والأداء والضبط .

وأطلقوا على القسم الأول : علم الحديث رواية .

وأطلقوا على القسم الثانى علم الحديث دراية ، أو علم مصطلح الحديث ، أو علم الإسناد .

---

(١) السند : هو الطريق الموصل إلى المتن : أى الرواة .

(٢) المتن : هو ما انتهى إليه السند .

وأول من صنف فى علم مصطلح الحديث : أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .

وهذا العلم يعد من أشرف العلوم وأفضلها ، لأنه بمقتضى القواعد والضوابط التى وضعها العلماء يعرف الحديث المقبول ، والحديث المردود ، وما يصح نسبته إلى رسول الله ﷺ وما لا يصح نسبته إليه .

وهذا العلم ـــ علم المصطلح ـــ هو الذى نتحدث عنه إجمالا فيما يلى :

أقسام الحديث باعتبار طرقه :

ينقسم الحديث باعتبار أسانيده إلى : متواتر ، وآحاد ، وهذا التقسيم بالنسبة لغير الصحابى[1]

---

(١) الصحابى : هو من لقى النبى ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام .

الذى تلقى عن الرسول ﷺ مباشرة أمّا الصحابى الذى يتلقى الحديث عن الرسول ﷺ مباشرة فمعرفته به معرفة يقينية ، حيث جاءت هذه المعرفة عن طريق الحس ، والمشاهدة ، والتلقى المباشر .

الحديث المتواتر :

الحديث المتواتر : هو مانقله من البداية إلى النهاية جماعة تُحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، وكان مستندهم الحس ؛ كأن يروا أو يسمعوا جميعاً الأمر الذى نقلوه .

ومثل هذا النقل لا يمكن أن يتطرق إليه الشك ؛ فإن العقل فى مثل هذه الحال يمنع اتفاق هؤلاء على الكذب . فكثير من الناس يوقنون بوجود القطب الشمالى ، والقطب الجنوبى دون مشاهدتهما استناداً إلى مانقل إليهم ممن يجزم

الإنسان بصدقهم .

ولهذا كان الحديث الوارد عن هذا الطريق خبراً مقطوعاً به يفيد العلم ويوجب العمل[٢] ويكفر منكره إلا أن يكون العلماء اختلفوا فى تواتره ، وأنكره منكر ، فإنه لا يكفر بإنكاره ، وإنما يكون آثماً ، فاسقاً متى كان إنكاره عن هوى فى النفس ، أو تعصب لرأى .

ولا يشترط فى رواة التواتر عدد معين ، ولا الإسلام ، ولا العدالة ، بل يشترط الكثرة والاتصال فقط .

والخلاصة أن التواتر يشترط فيه :

١ ـــ أن يكون الرواة عدداً كثيراً .

---

(٢) والمتواتر : لا يعد من مباحث المصطلح ، لأن المصطلح يبحث فيه عن صحة الحديث أو ضعفه ليعمل به أو يترك ، والمتواتر يعمل به من غير بحث .

٢ ــ وأن يحيل العقل تواطؤهم على الكذب .

٣ ــ وأن يرووا الخبر عن مثلهم فى استحالة اتفاقهم على الكذب وإن لم يبلغوا عددهم .

٤ ــ أن ينتهى استنادهم إلى الحس .

ومن أمثلة المتواتر :

أن النبى ﷺ ولد بمكة ، وهاجر منها إلى المدينة ودعا إلى الله ، وجاهد أعداء الإسلام ، وشرع الأذان ، وأمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وحرم الزنى والربا والميْسر ، وأقام حدود الله ، ورخص فى المسح على الخفين ، وقال : « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . هذا الحديث مروى عن مائتى صحابى .

ومنها أن الخلفاء الأربعة كانوا أصحاباً له ﷺ .

أقسام التواتر :

والتواتر نوعان : لفظى ومعنوى .

١ ـــ التواتر اللفظى :

وهو أن يتفق الرواة على لفظ واحد فيما رووه ، كاتفاقهم على ألفاظ القرآن الكريم وعبارته ، وكحديث : « من كذب علىَّ ... » وحديث : « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها ثم أداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » . وحديث : « نزل القرآن على سبعة أحرف » وحديث : « الشفاعة ، وحديث الحوض ، وحديث رؤية الله عز وجل فى الآخرة .

٢ ـــ التواتر المعنوى :

وهو نقل الروايات المتعددة المختلفة الألفاظ

والمعانى ، مع اتفاقها كلها على أمر معين فيكون هذا الأمر المعين متواتراً تواتراً معنوياً مثل مايروى عن شجاعة خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ومثل له السيوطى برفع اليدين فى الدعاء .

حديث الآحاد

تعريفـــه :

خبر الآحاد هو مارواه واحد أو اثنان أو أكثر ، ولم يجمع شروط التواتر .. وهذه تسمية اصطلاحية ، إذ أن خبر الواحد فى اللغة ماروواه واحد .

وحديث الآحاد لا يكفر منكره ، وإنما يفسق إذا كان إنكاره للحديث الصحيح ناشئاً عن هوى فى النفس ، أو تعصباً للرأى .

أقسـامه :

ينقسم حديث الآحاد إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ مشهـــور : وهو ماروواه ثلاثة فأكثر فى كل طبقة من الطبقات ، ولم يبلغ حد التواتر ، وسمى بذلك لشهرته ، وقد يطلق على ما اشتهر على ألسنة الناس فيشمل حتى مالا أصل له كحديث : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » .

٢ ــ عـــزيز(١) : وهو ماروواه اثنان فى طبقة وإن زاد الرواة عنهما فى بعض الطبقات .

٣ ــ غـــريب(٢) : ماروواه راو واحد ، ولو فى طبقة واحدة .

---

(١) عزيز : سمى بذلك لندرة وجوده أو لأنه جاء من طريق آخر فقوى وعز .

(٢) غريب : هذا تعريف غريب الإسناد ، أما غريب الحديث فهو مافيه لفظ غامض يحتاج إلى تفسير .

أقسام الحديث
من حيث القبول والرد

وينقسم حديث الاحاد إلى : مقبول ومردود .

المقبــول :

هو الذى توافرت فيه صفة القبول ، ويشمل أربعة أقسام :

١ ــ الصحيح لذاته .
٢ ــ والصحيح لغيره .
٣ ــ والحسن لذاته .
٤ ــ والحسن لغيره .

المــردود :

والمردود هو الذى لم تتوافر فيه شروط القبول ،

بأن فقدها كلها أو فقد شرطاً منها ، أو حصل تردد فى وجود شرط منها ، أو أكثر ، ويشمل الحديث الضعيف والموضوع .

الحديث الصحيح :

هو ما اتصل سنده بنقل العدل التام الضبط عن مثله من غير شذوذ ولا علة قادحة .

فالحديث الصحيح يشترط فيه خمسة شروط وهى :

١ ـــ الاتصال .

٢ ـــ والعدالة .

٣ ـــ والضبط التام .

٤ ـــ وعدم الشذوذ .

٥ ـــ وعدم العلة .

والاتصال : معناه أن يأخذ الرواة بعضهم من

بعض دون انقطاع بين راو وراو من أول السند إلى نهايته ؛ أى سلامة السند من سقوط راو فى أثنائه ، بحيث يكون كل راو سمع المروى من شيخه مشافهة .

والعدل : المراد بالعدل عدل الرواية ، وهو المسلم العاقل البالغ المنزه عن ارتكاب الكبيرة ، أو الإصرار على الصغيرة ، وعما يخل بالمروءة ، والمروءة : هى أن يفعل المرء مايزينه ، ويترك مايشينه من الأقوال والأفعال(١) .

والضبط : لا يكتفى فى رواية الحديث بالعدالة بل لابد من الضبط وهو يشمل : ضبط صدر

---

(١) وتثبت العدالة بالشهرة والاستفاضة وبتنصيص عالمين عليها ، ويكفى فى التعديل والتجريح عدل واحد ، ويشترط ذكر السبب فى التجريح .

(حفظ) . وضبط كتاب : أى أن الراوى يحفظ ما يسمعه حفظاً متقناً ويبقى حافظاً له دون أن يتغير حفظه بطول العهد ، ويمكن أن يستحضر مايسمعه متى شاء ، وأن يتحرى الصواب ويحترز من الخطأ عند الكتابة ويحافظ على ماكتبه دون أن تمتد إليه يد التحريف[٢] .

وعدم **الشذوذ** : أى عدم مخالفة الثقة من هو

---

(٢) ويعرف ضبط الراوى بموافقة الثقات غالباً ، ولو من حيث المعنى ، وللحافظ ابن حجر كتاب موجز سماه تقريب التهذيب ، ذكر فيه منزلة كل راو من حيث العدالة والضبط والتاريخ ، وهو مختصر من كتاب تهذيب التهذيب .

قال الإمام مالك : أدركت بالمدينة أقواماً لو استسقى بهم القطر لسقوا . قد سمعوا الحديث كثيراً ، وما حدثت عن واحد منهم شيئاً ، لأنهم كانوا زهاداً ، وهذا الشأن : (أى الحديث) إلى رجل معه تقى وورع وإتقان وعلم وفهم ، وأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا يؤخذ بكلامه ، ولا هو حجة . (هذا معنى كلامه) .

أوثق منه ، فإذا روى الثقة حديثاً وخالف فيه هو أوثقُ منه كانت رواية الأوثق هى الصحيحة مَنْ ، ويسمى الحديث : بالمحفوظ ومثال ذلك : ماجاء عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ اعتمر فى رجب .

وجاءت رواية عائشة رضى الله عنها : أنه مااعتمر فى رجب قط .

فقدم العلماءن رواية عائشة على رواية ابن عمر ، واعتبرت روايته شاذة .

أما إذا خالف غير الثقة الثقة كان حديثه منكراً ، ويسمى حديث الثقة : بالمعروف .

وعدم العلة : أى عدم وجود سبب خفى غامض طرأ على الحديث فقدح فى صحته[1] ،

---

(١) وهو مايسمى بالعلة ، وقد تكون فى المتن ، وقد تكون فى السند وهو الأكثر . ومما كتب فى ذلك : كتاب علل الحديث لابن أبى حاتم .

ومثل هذا يهتدى إليه كبار علماء الحديث بكثرة الممارسة ، وبالتأمل في طريق الحديث ، ومثاله : أن يروى الحديث متصلا . وهو منقطع في الواقع .

أقسام الحديث الصحيح : والحديث الصحيح ينقسم إلى صحيح لذاته وصحيح لغيره ، فالصحيح لذاته هو الحديث الذى توافرت فيه الشروط السابقة ، والصحيح لغيره هو الحسن لذاته إذا تقوى بطريق أقوى منه أو بمثله أو بأقل منه مع التعدد ، أى بطريقين أدنى من طريقه .

الحديث الحسن : والحديث الحسن قسمان : الحسن لذاته : وهو الحديث الصحيح نفسه ، إلاّ أن الضبط فيه أخف من الضبط فى الحديث الصحيح . والحسن لغيره : وهو الضعيف إذا

تقوى بغيره ، بأن توبع بحديث أقوى منه ، أو بحديث مثله أو أقل منه مع التعدد ، أو تخرج من وجه آخر[1] .

درجات الصحيح :

والحديث الصحيح درجات ، فأعلى مراتبه ما اتفق عليه البخارى ومسلم ، ثم مارواه البخارى ، ثم مارواه مسلم ، ثم ماجاء على شرطهما ولم يخرجاه ، ثم ماجاء على شرط البخارى ولم يخرجه ، ثم ماكان على شرط مسلم ولم يخرجه ، ثم ما كان على شرط غيرهما[2] .

---

(١) فى حالة تخرجه من وجه آخر يقال للثانى شاهد ، وفى الحالات الأولى يقال للثانى متابع بالكسر ، وللأول متابع بالفتح .

(٢) جرت عادة الإمام الترمذى رحمه الله أن يقول فى كثير من الأحاديث : حديث حسن صحيح . ومعنى ذلك أنه جاء بسندين : أحدهما تام الضبط فيكون صحيحاً ، والثانى أخف ضبطاً فيكون حسناً .

الحديث المردود

الحديث المردود هو الحديث الذى لم تتوافر فيه شروط الحديث المقبول ، بأن يكون فى سنده حذف ، أو يكون مطعوناً فى أحد رواته . والطعن إما فى العدالة أو الضبط . وبيان ذلك فيما يلى :

المردود بسبب الحذف من السند :

المردود بسبب الحذف من السند أنواع وهى :

المرسل ، والمعلق ، والمنقطع ، والمعضل .

فالمرسل :

ما سقط من إسناده الصحابى[1] .

---

(١) الحديث المرسل ضعيف لا يحتج به عند الشافعى ، واحتج به أبو حنيفة ومالك وأحمد ، واتفقوا على أنه إذا تقوى بطريق آخر متصل أو مرسل احتج به .

والمعلـــق :

ما سقط من أول إسناده راو أو أكثر على التوالى[٢] .

والمنقطـــع :

ما سقط من وسط إسناده واحد أو أكثر لا على التوالى .

والمعضـــل :

ما سقط من وسط إسناده اثنان أو أكثر على التوالى .

المردود بسبب الطعن :

والمردود بسبب الطعن فى أحد الرواة يرجع إلى

---

(٢) وهو ضعيف لعدم معرفة الراوى المحذوف ، هل هو عدل ضابط أولا ، فإن جاء فى كتاب التزم صاحبه رواية الصحيح قيل متى أتى فيه بصيغة الجزم كما هو الشأن فى معلقات الإمام البخارى كان صحيحا .

أمرين :

١ ـــ الطعن فى العدالة .

٢ ـــ الطعن فى الضبط .

الطعن فى العدالة :

أى الطعن فى عدالة الراوى ، وجملة المطاعن التى توجه إليه :

١ ـــ الكذب : فإذا طعن الراوى به كان حديثه موضوعاً .

٢ ـــ التهمة بالكذب : إذا انفرد الراوى برواية حديث ، وهذا الراوى مجمع على ضعفه لتهمته بالكذب . يسمى حديثه بالمتروك .

٣ ـــ ظهور الفسق : ومتى ظهر فسق الراوى ، وانفرد بحديث فقد اختار السيوطى

تسميته بالمتروك كسابقه .

٤ ـــ **الجهالة** : أى لا يعرف حال الراوى من تعديل وتجريح . والحديث الذى جهل راوية يسمى بالمبهم ، وهو مردود .

٥ ـــ **البدعة** : فإن كان الراوى مبتدعاً لا تقبل روايته إن كانت بدعته محرمة أو مكفرة كدعوى الربوبية للإمام على رضى الله عنه ، وكالأخذ بمذهب المجسمة .

فإن كانت بدعته غير مكفرة فإن دعا إليها فلا تقبل أيضاً ، وإن لم يدع إليها تقبل إن لم يكن المروى مما يقوى بدعته ، وقد روى الإمام البخارى عن عمران بن حطان الخارجى ، والخوارج يتشددون فى الكذب .

٦ ـــ **التدليس** : وهو أن يروى الراوى حديثاً

عمن لا يحتج به لكونه مجروحاً أو مجهولاً ، فيصلح السند ليوهم السامع أن روايته مقبولة .

٧ ــ **الاضطراب**[١] : هو الذى تختلف الرواية فيه ، فيرويه بعض الرواة على وجه ، وبعضهم على وجه آخر دون ترجيح لرواية منها بسبب من أسباب الترجيح فإذا وجد سبب رجح رواية على غيرها من الروايات كانت هذه هى الرواية الراجحة ويهمل ما عداها . وبهذا الترجيح أو الجمع يزول الاضطراب .

الطعن فى ضبط الراوى :

الطعن فى الضبط يرجع إلى الوجوه الآتية :

١ ــ كثرة الغلط .

---

(١) الاضطراب قد يكون فى السند وقد يكون فى المتن .

٢ ـــ فحش الغفلة[٢] .

٣ ـــ الوهـــم[٣] .

٤ ـــ مخالفة الثقات .

٥ ـــ سوء الحفظ .

الأحاديث الموضوعة

النهي عن الكذب على رسول الله :

حرم الإسلام الكذب على رسول الله ﷺ حماية للدين من التحريف أو الزيادة عليه أو النقصان منه . يقول الرسول الكريم ﷺ :

---

(٢) والحديث الذى تفرد به من يكثر غلطه وتفحش غفلته بأن يذهل ذهولاً شديداً عن الإتقان فهو كالذى ظهر فسق راوية ، ويسميه السيوطى بالمتروك .

(٣) الحديث الذى طعن فى راوية بالوهم يسمى بالمعل .

« من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[1] وكان بعض الصحابة يتحرج من التحدث عن الرسول ﷺ ، بل كان يتحرج من تدوينه الحديث مخافة التحريف أو الزيادة أو النقصان .

ومن هؤلاء : عمر ، والزبير ، وابن مسعود ، وسعد بن أبى وقاص . ومع ذلك فقد كثر وضع[2] الأحاديث فى فترة من فترات التاريخ الإسلامى ، وكانت البداية سنة ٤١ هجرية حينما دب الخلاف بين المسلمين وانقسموا إلى جماعة أهل السنة ، والشيعة ، والخوارج . وحينما ظهرت البدع والأهواء فى المجتمع الإسلامى .

---

(١) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة ، واستدل به جمهور العلماء على أن الكذب على الرسول كبيرة من كبائر الإثم .

(٢) الحديث الموضوع هو المختلق المكذوب على الرسول .

أسباب الوضع :

من الأسباب التى حملت الوضاعين على الوضع :

مايرجع إلى تأييد الاتجاهات السياسية ، والأحزاب التى رأت من الكذب على الرسول ﷺ مايخدم أغراضها وأهواءها ، ومنها ماوضعه بعض القصاص لترويج قصصهم طلباً للرزق ، ورغبة فى الكسب .

ومنها ماوضعه البعض ترغيباً للناس فى الخير . وشدهم إليه ، وكان بعض الرجال يحدث بالموضوعات فقيل له :

إن الرسول نهى عن الكذب عليه . فقال : أنا لا أكذب عليه ، ولكنى أكذب له .

ويدخل فى هذا الباب الأحاديث التى جاء الكثير منها فى فضائل سور القرآن الكريم ، ولم يصح منها إلا الأحاديث التى وردت فى فضائل سورة الفاتحة ، والأنفال ، والسبع الطوال ، ويس ، والدخان ، والصف ، والملك ، والزلزلة ، والعصر ، والكافرون ، والإخلاص ، والمعوذتين .

ومن الأسباب التى دعت إلى الوضع : الانتصار للمذاهب ، والتعصب لها ، أو الانتصار للفتوى عند ظهور الخطأ تأييداً له .

لا يحل رواية الحديث الموضوع :

والحديث الموضوع مردود لا يقبل بحال ، ولا تحل روايته لمن يعلم أنه موضوع إلا إذا ذكره وبين أنه موضوع .

وقد تنبأ الرسول ﷺ بما سيكون من وضع الوضاعين وكذبهم عليه وحذر منهم يقول :

« سيكون فى آخر أمتى أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم وإياهم » .

جهد العلماء فى كشف الأحاديث الموضوعة :

وقد قام علماء مصطلح الحديث بجهد كبير فى الكشف عن الأحاديث الموضوعة ، وبينوا زيفها بمقتضى ميزان علمى صادق ، فلم يقبلوا من الأحاديث أى حديث إلا بعد تمحيص دقيق من نقد الرواة ، ومعرفة الإسناد والضبط ، والعدالة ، وألفوا فى ذلك كتباً كثيرة فى القديم والحديث مما يقطع بحفظ السنة وحماية أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة من أن تمتد إليها يد التحريف والتصحيف ، ومما يقطع ألسنة المتخرصين من

المستشرقين وممن نحانحوهم ، الذين يجعلون من مسألة وضع الحديث وسيلة للتشكيك فى الحديث بعامة .

تقسيم الحديث باعتبار نهاية السند

ينقسم الحديث باعتبار نهاية السند إلى : مرفوع ، وإلى موقوف ، وإلى مقطوع .

المرفـــوع :

هو ما أضيف إلى النبى ﷺ قولاً أو فعلا أو تقريراً أو صفة تصريحاً[1] أو حكما[2] ، سواء أضافه الصحابى أو التابعى أم غيرهما ، وسواء اتصل سنده أم لا[3] .

---

(١) كأن يقول الراوى قال الرسول ﷺ كذا ، أو فعل كذا ، أو فعل أمامه كذا .

(٢) كأن يقول الصحابى : كنا نفعل كذا على عهد رسول الله . ومن الصيغ المحتملة للرفع قول الصحابى : من السنة كذا ، أو أمرنا بكذا ، أو نهينا عن كذا .

(٣) فيشمل المرسل والمنقطع والمعضل والمعلق .

الموقــوف :

والموقوف هو ما أضيف إلى الصحابى قولاً أو فعلا أو تقريراً ، وخلا عن قرينة تجعله مرفوعاً حكما ، سواء اتصل سنده أم لا ، نحو قال ابن مسعود : كذا وكذا .

المقطــوع :

والمقطوع هو ماأضيف إلى التابعى فمن دونه من قول أو فعل أو تقرير ، وخلا من قرينة الرفع بأن كان للرأى فيه مجال نحو قال مجاهد : كذا وكذا(٤) .

☆ ☆ ☆

(٤) الموقوف والمقطوع يعدان من الحديث إلا تسامحاً ، حيث لا مدخل لهما فى الحديث ، ولذا يقال لكل منهما : الأثر .

الفتح للإعلام العربي

